زكي مبارك

حياته من أدبه

— ٣ —

للأستاذ أنور الجندي

أنفق زكي مبارك حياته الأدبية مصارعاً . . مناضلاً ، يعقد المساجلات . . ويخاصم الأدباء ، يصفه الزيات بقوله : إنه لون من ألوان الأدب المعاصر ، لا بدّ منه ولا حياة فيه ، وهو الملاكم الأدبي في ثقافتنا الحديثة . والرياضة كما نعلم ضرورة الحياة لسلامة العقل والجسم .

أما عنفه وشماسه فهما الصبغ المميز للونه . . على انه هو أول الشاهدين على أن معاركه قد نجمت من طول ما أهانت به ، وهو في قفازه السنتريس يبدو في المجال بين الجبال مغضباً بعض الأعضاء من قواعد الملاكمة وهو الى ذلك يحب أن يقول الجديد . . الذي يثير الناس .

وكم مرة أثار العلماء والفقهاء والأدباء . . ، أثارهم حين حمل على الغزالي ، في كتابه « الأخلاق عند الغزالي » وأثارهم حين تعرض للقرآن في النثر الفني وحين تعرض لنظرية وحدة الوجود . . في كتاب التصوف الاسلامي .

٥

وهو مصارع جبار قوي العارضة ، لم يقف أمامه خصم واحد ، غير السباعي بيومي ، وذلك في المساجلة التي دارت بينهما حول الشيخ المرصفي ، فهي من أول هزائمه . . ثم توالت الهزائم عند ما كتب الغمراوي « ما لزكي مبارك وكتاب الله » في الرسالة ، وأخذ ينقد في شدة وعنف أخطاءه التي تضمنها كتاب النثر الفني .

﴿ القتل الادبي ﴾ أما قبل ذلك فقد كان زكي مبارك خصماً وصارماً . . وأكبر

خلافه ، تلك التي حملوا على طه حسين وأحمد أمين .. التي قابلها كل منهما في صمت سمح هذا الصمت ما شئت .. ولكنه على كل حال لم يكن صمت القادر على الدخول في مغامرة .. مع كاتب جريء « كزكي مبارك » .

ولكننا من ناحية أخرى نستطيع أن نؤكد أن هاتين الخصومتين لم تكونا خالصتين لوجه العلم والأدب وحده ، ولكن زكي كان يصدر فيهما عن خصومة شخصية .

كان الخلاف بينه وبين طه حسين قد احتدم من وقت طويل ، وكان زكي قد عارض طه وحمل عليه وعلى آرائه في كتابه النثر الفني .

وكان طه حسين قد وصف هذا الكتاب بأنه « كتاب من الكتب الذي كاتب من الكتاب » وهنا حمل زكي على طه .. بعنف ، ولكننا لا نستطيع أن نقول إن الأدب الخالص والنقد المجرد كان هو مصدر تلك الحملة .

صحيح .. ، إنها تحمل في بعض جوانبها ، الخلاف حول افكار .. ولكنها لا تبرأ أبداً من الغرض .

وصارع زكي مبارك : الكتاب سلامة موسى وعبد الله عفيفي ولطفي جمعه وفتحل الصحف طويلاً .

٥

وبعد فان أبرز ما يتميز به « زكي مبارك » هو إنه فيلسوف .. وشاعر ، كبير العاطفة ، قوي الوهج الروحي .. ومن هذه النفسية الملتهبة جمع بين الكتابة في الحب .. والكتابة عن الصوفية .. فما أقرب الصلة بين الحب والصوفية في نفس شاعر فيلسوف كزكي مبارك .

.. كان محققاً وباحثاً .. كأقدر ما يكون الباحثون ، وكان كاتباً بليغاً كأعظم كتاب اللغة العربية ، وقد عاش حياته كلها بين كتبه ، ولكنه كان يفهم الحياة حق الفهم ، فهم الخبير المجرب .. وإذا كان لنا من رجاء فانا نطلب الى ابنه الأستاذ فهمي مبارك أن يجمع فصول « الحديث ذي شجون » في مجلد كبير ويقدمها للطبع ، حتى ينتفع بها المثقفون ومحبي الأدب .

رحم الله الفقيد الكريم رحمة واسعة وعوض لغة الضاد عنه خير العوض .